جامعة دمياط
كلية تربية
قسم علم النفس

د/ أحمد حجازي

مادة/ الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الفرقة الأولي

الفصل الرابع

مناهج وأدوات البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية

1- المناهج الأنثروبولوجية.

2- أساليب جمع البيانات.

قد أحس الباحثون الحقليون بضرورة الالتفات إلي بحث القواعد المنهجية في الدراسة الحقلية Field Workتلك التي تبني علي مشاهدة الظواهر الاجتماعية العينية، واعتماداً علي الملاحظة العلمية الدقيقة وارتكاناً إلي الملاحظة (المشاهدة) المباشرة لمعالم العلاقات الجزئية الواقعية، وذلك لمعرفة ما يسميه راد كليف براون بالبناء الواقعي أو الفعلي Actual structureالذي هو عبارة عن الشبكة التي تربط بين هذه العلاقات الجزئية المشخصة. ولا يقف الباحث الحقلي عند حد وصف ومشاهدة الوقائع (الظواهر) علي نحو ما يفعل الإثنوجرافي، وإنما يقوم بتجريد الحالات الجزئية عن ملابساتها الحسية، كي يصل إلي حكم عام يصدق عليها. ولذلك استخدم راد كليف براون الطرق الاستقرائية وذلك بإستخدام المنهج التجريبي وتطبيقه علي الظواهر الاجتماعية لاكتشاف القوانين العامة التي تخضع لها تلك الظواهر.

ويتوقف نجاح الدراسة علي توافر عدد من الشروط، حددها العلامة ايفانز بريتشارد كما يلي:

1-أن تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع- ويفهم من ذلك ضرورة الحصول علي الدرجة الجامعية الأولي علي الأقل في أحد فروع العلوم الاجتماعية قبل القيام بالدراسة الميدانية وتطبيق الملاحظة بالمشاركة.

2-علي الباحث أن يقضي فترة كافية في الإشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، ويجب ألا تقل الفترة عن عام، ويري بعض العلماء أن ستة أشهر قد تكون كافية، ولا شك أن تحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها دراسة مركزة.

3-أن يكون الباحث طيلة فترة الملاحظة علي صلة وثيقة بالأهالي، ويتم ذلك عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الإجتماعية.

4-علي الباحث أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة لغتهم الوطنية، ولا يستخدم المترجم، إذ كثيراً ما يفشل المترجم في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة.

5-وعليه أيضاً أن يدرس كل جوانب الحياة الإجتماعية والثقافية وأن كان يدرس موضوعاً معيناً بالتفصيل. وفي الغالب لا ينشر الباحث سوي جزء يسير من دراسته، ولكن الدراسة الكلية للمجتمع ضرورية حتى يستطيع فهم الجانب التفصيلي وتحديد وظائفه.

6-لابد من توفر نوع معين من الشخصية والمزاج، فبعض الباحثين لا يستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الأصلي فغالباً ما تكون الحياة في المجتمع موضوع الدراسة قاسية، وخاصة أن الظروف غير الصحية تنتشر في المجتمعات البدائية، هذا بالإضافة إلي تعرض الباحث لتغيير عادات الطعام والمسكن والملبس والمشرب، ولذلك لا يستطيع الكثير تكييف أنفسهم عقلياً ونفسياً وجسمياً مع تلك الظروف الجديدة.

7-علي الباحث أن يتخلي عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية- ولا شك أن الأفراد الذين يتقنون الملاحظة يستطيعون الوصف الدقيق للمجتمع، ولكن عندما ينتقلون إلي مرحلة الفهم والإدراك العميق فإنهم يحتاجون إلي الكثير من الحدس. ويجب عدم إغفال أهمية مزاج الباحث وطباعه، فقد يحدث أن يخفق أحد الباحثين في دراسة مجتمع معين، ولكنه ينجح في مجتمع آخر.

8-يحتاج الباحث إلي مهارة أدبية في نقل ووصف وتحليل الثقافة المدروسة إلي لغة الباحث نفسه، إذ عليه أن يبين ويشرح معني الظواهر الإجتماعية والثقافية التي لاحظها وأن يبرز هذا المعني بوضوح في صور تجاربه الأخرى، ويقتضي ذلك المجهود مهارة في إدراك وتمييز الصيغ والنماذج اللغوية. ولا يفهم من ذلك أن علي الأنثروبولوجي أن يكون أديباً حتى ينجح في عمله وإنما يكون قادراً علي التعبير والكتابة بلغة واضحة سليمة.

أولاً: المناهج الأنثروبولوجية:

تتعدد المناهج في الأنثروبولوجيا، وأن لكل منها أدوات مخصصة لجمع البيانات وإن تكررت مع منهج أو أكثر، ولا تقتصر دراسة أي موضوع علي منهج واحد، وكذلك أكثر من أداة.

1 – المنهج الأنثروبولوجي:

يهتم بالنظرة الكلية الشاملة لموضوع الدراسة، ويتيح هذا المنهج المزيد من الدقة والتعمق في سبر غور دراسة أي موضوع. ففي دراسة موضوع الهجرة غير الشرعية تمكن الباحث من خلال الإعتماد علي المنهج من التعرف علي تأثير الهجرة علي الفرد والأسرة والقرية، والأنشطة الإقتصادية مثل الزراعة، والأنشطة التجارية الجديدة، الاستثمارات الجديدة.....

ومن أهم أدوات المنهج الأنثروبولوجي: المقابلة والمقابلة المتعمقة والملاحظة بالمشاركة، وسوف أتناول تلك الأدوات بالشرح فيما بعد.

2 – المنهج الوظيفي:

يهتم بالتعرف علي مدى التشابك والتفاعل القائمين بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل ونصيب كل نظام منها في المحافظة علي تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته وكيانه، وينسب هذا المنهج إلي كل من راد كليف براون ومالينوفسكي.

3 – المنهج التاريخي:

ظهر الاهتمام بهذا المنهج منذ نشأة الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، حيث اهتموا بالتاريخ الظني أو إعادة تركيب تاريخ المجتمعات الماضية. وقد رفض راد كليف براون التفسيرات التاريخية القائمة علي التأملات الظنية، لا لكونها تاريخية ولكن لكونها ظنية. إلا أنه يعتبر أن استخدام الوثائق والشواهد التاريخية مفيد في فهم العلاقات بين الوقائع خلال الزمن.

4 – المنهج المقارن:

استخدم المنهج المقارن علماء القرن التاسع عشر، وكذلك جيمس فريزر الذي انشغل مثلهم بمقارنة الظواهر الاجتماعية المتفرعة من مختلف المجتمعات والثقافات. وقد عاب راد كليف بروان علي جيمس فريزر، في أنه لم يأخذ بوجهة النظر البنائية إذ يجب النظر إلي مختلف الظواهر الاجتماعية والسمات الثقافية بالرجوع إلي ما يفسرها في الأبنية الاجتماعية والثقافية، حيث إنه لا يمكن فهم طبيعة الظاهرة أو وظيفتها إلا بردها إلي البناء الاجتماعي. ويؤكد راد كليف براون أنه بدون استخدام المنهج المقارن تصبح الأنثروبولوجيا الاجتماعية مجرد دراسة وصفية للتاريخ Histrographyأو اثنوجرافيا.

5 – الإحصاء:

يُلاحظ أن الدراسات الأنثروبولوجية الأولي كان تتسم بالنقص في هذه البيانات الإحصائية، وذلك نظراً لأن المجتمعات التي درسها العلماء كانت أمية ولم توجد بها إحصاءات رسمية يمكن للباحث الإعتماد عليها. ولتلافي ذلك النقص قام بعض العلماء بعمل إحصاءات عن سكان المناطق التي درسوها، مثل ريموند فيرث، وقد أدي النقص في البيانات الإحصائية إلي عدم إمكانية إجراء مقارنات لجوانب مختلفة من الحياة الإجتماعية في فترات مختلفة.

وفي الأنثروبولوجيا لا يكون جمع البيانات والإحصاءات هدفاً في حد ذاته وإنما إحدى وسائل دعم محاولة البيانات الكيفية الوصول إلي فهم المجتمع أو الثقافة علي أساس تكاملي. حيث تساعد البيانات الكمية في إختبار الفروض وتعديلها وصياغة فروض أخرى بديلة، وفي الكشف عن الفروق بين القواعد المثالية كما ترد في أقوال الاخباريين وبين السلوك الفعلي الذي توضحه الإحصاءات.

6 – منهج دراسة المجتمع المحلي:

تمثل دراسة المجتمع المحلي الطريقة السائدة في التحليل الأنثروبولوجي لدراسة المجتمعات القروية، وفي دراسة أنماط أخرى من المجتمعات المحلية منها علي سبيل المثال قطاعات من المجتمع الحضري.

وتعني دراسة المنهج المحلي محاولة فهم ووصف جماعات من الأفراد، تعيش في موقع جغرافي معين، وتشترك في نظم اجتماعية معينة وتشعر أن كل المؤسسات المحلية كالمدارس والمؤسسات الدينية والمحلات والمسارح والحدائق والمنازل والصناعات المحلية مؤسسات خاصة بهم فقط.

ثانياً: أساليب جمع البيانات:

1 – الملاحظة بالمشاركة:

هي إحدى أدوات البحث الأنثروبولوجي، والتي تسهم في الفهم الكلي الشامل لما يدرسه الأنثروبولوجي، وقد وجه برنسلاو مالينوفسكي الإهتمام إليها، وهي تفرض علي الباحث الأنثروبولوجي أن يشارك الأهالي حياتهم لا أن يكتفي بما يقوله الإخباري.

وتتخذ الملاحظة بالمشاركة صورتين:

أ – الملاحظة بالمشاركة الظاهرة:

التي تتم بموافقة أفراد الجماعة موضوع الدراسة. وقد تتخذ هذه الموافقة شكلاً ضمنياً أو يعبر عنها سمياً. وفي حالة التعبير الرسمي، يتعين علي الباحث أن يعلن صراحة أنه بصدد إجراء بحث اجتماعي قيد الإجراء.

ب – الملاحظة بالمشاركة المستترة

ملاحظة مشاركة تتم دون علم صريح من جانب أفراد الوحدة الإجتماعية موضوع الدراسة أو الحصول علي موافقتهم. وينطوي ذلك الأسلوب علي دور للباحث يفسر وجوده داخل مجال البحث، وذلك للتغطية علي الدور الحقيقي للباحث في هذا الموقف.

2 – المقابلة:

يستخدم الأنثروبولوجي أداة المقابلة غير الموجهة (غير المقننة) والتي تتمثل في مقابلة بعض أفراد المجتمع الذين يتمتعون بسمعة طيبة في المجتمع موضوع الدراسة، ويحاول في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم بحيث يفتحون له قلوبهم، ولا يحاولون تزييف الحقائق.

أما المقابلة الموجهة (المقننة) لا يستخدمها الأنثروبولوجيون إلا في المجتمعات المتمدينة بجانب المقابلة غير المقننة والملاحظة بالمشاركة، وتتمثل في إستخدام إستمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة التي وضعته بدقة حول موضوع معين، وفي معظم الأحيان تشمل الإستمارة كذلك الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملئها بسرعة وتفريغها في جداول.

3 – تاريخ الحياة:

يستخدم كثير من الأنثروبولوجيين تلك الطريقة في أثناء الدراسة الميدانية وتتلخص في تدوين أهم الأحداث التي تمر في حياة بعض أفراد المجتمع موضوع الدراسة وعلي المستجوب أن يقص علي الباحث تاريخ حياته منذ الصغر إلي اللحظة التي يتحدث فيها، ولا شك أن تبادل الثقة بين الباحث والمستجوب يساعد علي إضفاء صفة الموضوعية علي المعلومات المقدمة، ويؤدي كذلك إلي عدم إخفاء بعض المعلومات بطريقة مقصودة. وتوجد بعض العقبات أمام إستخدام تلك الطريقة منها صعوبة تذكر الحوادث القديمة وإمكانية الإدلاء بمعلومات كاذبة، ولذلك يجب التأكد من صحة المعلومات المستقاة عن طريق الإعتماد علي أكثر من مستجوب والمقارنة بين أحاديثهم والأخذ بالمعلومات المشتركة بينهم.

4– الطريقة الجينالوجية:

وهي عبارة عن تسجيل أو وصف علاقات الانحدار القرابي، وقد دأب الأنثروبولوجيون الاجتماعيون علي استخدامها خاصة في دراستهم لنسق القرابة. وقد أفادت الطريقة الجينالوجية الدراسات التي اهتمت بموضوعات متخصصة في مجتمعات معينة كروابط المصاهرة والزواج الداخلي ومعرفة الاتجاهات نحو الزواج من داخل الجماعة أو خارجها، وموضوعات أخرى كثيرة تتعلق بالجماعات التي تقوم علي روابط الانحدار كالولاء والتضامن القبلي وحيازة الأرض وتقسيم العمل،

5 – التصوير الفوتوغرافي:

استخدم كثير من الأنثروبولوجيين آلات التصوير أمثال مالينوفسكي ومارجريت ميد. وقد أشار "جون كولييه" إلي أهمية إستخدام ألة التصوير في سائر مراحل البحث بما في ذلك مرحلة التحليل والتفسير. ففي مرحلة الدراسة العادية يهتم الباحث بتصوير البيئة التي يعيش فيها السكان من حيث المساكن ومعالم المكان والمظاهر الجغرافية المختلفة. وتكشف هذه الصور عن كثير من التفاصيل التي يمكن أن تغيب عن الباحث الذي يعتمد علي الملاحظة المباشرة.

6 – دليل العمل الميداني:

عبارة عن مجموعة من الأسئلة تحت موضوعات تعالج الظاهرة المراد دراستها، ويعتمد الباحث علي هذا الدليل فيسترشد بأسئلته المختلفة في إستيفاء النقاط أو العناصر المختلفة المكونة لظاهرة من الظواهر. ويجب مراعاة أن أسئلة ذلك الدليل عبارة عن نوتة لتقييم موضوع الدراسة، وليست ملزمة بنصها. كما أنها ليست جامعة مانعة، إذ أن له أن يضيف معالجة لكل النقاط الجديدة التي يري إضافتها ولم يرد لها ذكر في الدليل، ويفيد الدليل. أعظم الفائدة، لو أنه تناول نفس النقطة المسئول عنها من أبعاد ووجهات نظر مختلفة.

7 – الإخباريون:

والمقصود بالإخباري هو الشخص الذي يقدم المعلومات إلي الباحث الحقلي. ويوضح تاريخ الأنثروبولوجيا أن العلماء قد اعتمدوا أثناء دراساتهم الحقلية علي الإخباريين كوسيلة هامة من وسائل جمع المعلومات مثلاً للحصول علي معلومات عن المجتمع في الماضي، والحالات التي يتعذر فيها الملاحظة، لمراجعة المعلومات التي تم جمعها عن طريق الملاحظة، ولدراسة الأساطير كما فعل راد كليف براون في جزر الاندمان. وهناك شروط يجب توافرها في الإخباريين عند إختيارهم منها: الذكاء، الذاكرة القوية، مقدرة الإخباري علي التخاطب بلغة الباحث، درجة التعليم، المعرفة أو الخبرة الخاصة، نتيجة للسن أو المنزلة الإجتماعية أو الحرفة.

أسئلة إسترشادية:

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة.

المقابلة الموجهة (المقننة) لا يستخدمها الأنثروبولوجيون إلا في المجتمعات المتمدينة بجانب المقابلة غير المقننة والملاحظة بالمشاركة (✔)

السؤال الثاني: اذكر المصطلح العلمي

يهتم بالنظرة الكلية الشاملة لموضوع الدراسة، ويتيح هذا المنهج المزيد من الدقة والتعمق في سبر غور دراسة أي موضوع **(المنهج الأنثروبولوجي)**

السؤال الثالث: بم تفسر:

الدراسات الأنثروبولوجية الأولي كان تتسم بالنقص في هذه البيانات الإحصائية.

لأن المجتمعات التي درسها العلماء كانت أمية ولم توجد بها إحصاءات رسمية يمكن للباحث الإعتماد عليها. ولتلافي ذلك النقص قام بعض العلماء بعمل إحصاءات عن سكان المناطق التي درسوها، مثل ريموند فيرث، وقد أدي النقص في البيانات الإحصائية إلي عدم إمكانية إجراء مقارنات لجوانب مختلفة من الحياة الإجتماعية في فترات مختلفة.

السؤال الرابع : ناقش ما يلي:

اذكر الشروط التي حددها العلامة ايفانز بريتشارد لنجاح الدراسة؟